

غزو الإسلام في أفريقيا



المؤلف: سوريا بنت عمار

مقدمة	3
➤ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ	3
الفصل ١	10
➤ مصدر النصوص التاريخية	10
الفصل ٢	18
➤ عقبة بن نافع	18
الفصل ٣	22
➤ قيمه وشخصيته	22
الفصل ٤	24
➤ وصاياه وفتوحاته	24
الفصل ٥	28
➤ الشعب البربر	28
الفصل ٦	31
➤ غزو أفريقيا	31
الفصل ٧	34
➤ الفتنة الكبرى	34
الفصل ٨	38
➤ اثنان من القادة	38
الفصل ٩	45
➤ مقر القيروان	45
الفصل ١٠	49
➤ الحكومة الجديدة	49
الفصل ١١	53
➤ استشهاد عقبة بن نافع	53
الفصل ١٢	57
➤ ويصبح الإسلام هو الدين السائد	57
معجم	61

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



« إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ؛ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ -وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ-. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ »



فِي طَرِيقِي فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، بِهَذِهِ الْمُشَارَكَةِ الْمُتَوَاضِعَةِ فِي هَذَا الْعَمَلِ. وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ زَادًا نَافِعًا لِي فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. أَنْ أُرْحَلَ عَنْ هَذَا الدُّنْيَا بِمَا يَرْضِي اللَّهُ وَيَرْضِيهِ. أَنْ أُرْحَلَ وَقَدْ جَمَعْتُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَا يَكْفِينِي لِدَارِ الْآخِرَةِ.

أَنَا لَسْتُ مُؤَرِّخًا، وَلَيْسَ لَدَيَّ أَيُّ مَكَانَةٍ خَاصَّةٍ. أَنَا بِبَسَاطَةِ مُؤْمَنَةٍ يَبْحَثُ عَنِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ. أَنَا مُهْتَمٌّ جَدًّا بِالتَّارِيخِ وَالْجُغْرَافِيَا. فِي الْوَاقِعِ، كَانَتْ مِنْ أَكْثَرِ الْمَوَادِّ الَّتِي تَفَوَّقْتُ فِيهَا خِلَالَ سَنَوَاتِ دِرَاسَتِي.

إنه شعور بالإعجاب لا يمكنني وصفه. أنا مفتون بعمق، وأكنّ احتراماً كبيراً لأولئك الذين قدموا لنا الكثير.

بعد عدة أشهر من البحث في الكتب والموسوعات. هذه هي ثمرة جهودي. أرسل إليكم هذا الكتاب عن الفتح الإسلامي في أفريقيا. وأود بواسطة هذا الكتاب أن أعرفكم بهذا التاريخ الذي لا يعرفه المجتمع الإسلامي إلا القليل مع الأسف. ومع ذلك فإنكم ستكتشفون الكثير من الفضائل، والكثير من الحكمة، والكثير من الدروس المثيرة. يجب أن يحتل هذا التاريخ مكانه الصحيح. وينبغي أن يكون جزءاً من منهج التاريخ في التعليم المدرسي في البلدين الإسلامية. ومن المهم أن نأخذ بعين الاعتبار ميزة مشاركته قدر الإمكان.

أعلم أن القراءة أصبحت نادرة هذه الأيام. من المحزن أننا لم نعد نقضي الكثير من الوقت في القراءة. ومع ذلك، من المهم أن نلاحظ أن البحث عن المعرفة، بل وإثراء معرفتنا لا يمكن أن يتحقق إلا بقراءة الكتب. وكما يقول المثل الجزائري:

« إن الشعب الذي يتجاهل معالمه هو شعب ضائع ! »

في الواقع، معرفة تاريخك هو معرفة نفسك. لأنه بواسطة معرفة هذا الماضي الذي يشكلنا فإننا نكشف عن حالتنا الذهنية، ومزاجنا، وقيمنا. وهذا أمر فريد من نوعه لكل شعب يستمد هويته من تاريخه وماضيه. قال مؤرخ سنغالي ذات مرة:

« **الشعب الذي يتجاهل ماضيه لا هُويّة له** »

إن معرفة المزيد عن سيرة ماضينا يعني أيضاً نقل تراثنا إلى الأجيال القادمة. لأن الشعب الذي لا يعرف تاريخه سيفقد كلّما يشكل هويته.

من المهم فعلاً بالنسبة لي أن أنقل لكم هذا التراث، وكان هذا المشروع عزيزاً جداً على قلبي. حتى أنني تلقيت عروضاً لبيعه. وقد رفضتها عدة مرات. وأستشهد الله على ذلك. إنه لمن دواعي سروري أن أشارككم هذا الكتاب. وأرجو أن أكون قد وفقت في نقل جوهر مشاعري إليكم، ووصفت. بدقة شجاعة وشجاعة وفضل عقبة بن نافع رضي الله عنه.

سوريا بنت عمار

فاتحة

صحيح أن الفتح الإسلامي لإفريقيا تم على عدة مراحل. وسيكون من الخطأ تحديد هذه المدة في ظل خلافة واحدة ورجل واحد. والواقع أنها تمت في ظل ولايات مختلفة. ولكن أكثرها لفتًا للانتباه وأهمها كان فتح عقبة بن نافع رضي الله عنه الذي فتحها في مدة زمنية قصيرة وهو أمر لم يتحقق لأحد قبله.

« ومن هنا جاء اسمه في الأسطورة فاتح أفريقيا »

إنها قصة تستحق حقًا أن تُروى. لأنها تستحق أن تُروى عن الرجال العظماء الذين ساعدوا في نشر كلمة الله. لقد ضحى بحياته في سبيل الإسلام. في ذهب رحلة استكشافية إلى بقعة نائية من العالم لم يجرؤ أحد قبله على الذهاب إليها.

إنه لسبب، بحمد الله، أن الكثيرين منا اليوم ولدوا من أبوين مسلمين. لا أملك كلمات صريحة للتعبير عن مشاعري وامتناني وتعجبي من الله تعالى على أن أكون مؤمنًا دون أي جهد من جانبي. ولكنني أيضًا أكنّ

إعجابًا كبيرًا لهذه الصحابي رضي الله عنه لأنه بذل حياته لله وللإسلام، بل ولنا أيضًا.

إن هذا العمل الذي أكتبه وأضعه تحت تصرفكم هو وسيلة لإظهار امتناني لله، ولكنه أيضًا تعبير عن امتناني لشجاعة عقبة بن نافع وتفانيه (رضي الله عنه). حتى لو كانت حبة رمل مقارنة بضخامة أعمال عظماء هذا العالم.

يقال إن التاريخ يكتبه المنتصرون. لذا دعونا نفخر بهذا النصر وكل الانتصارات الأخرى الذي جعلنا نفخر. ولا يفوتني أن أشير إلى أن هذه القصة نادرًا ما تروى في المكتبات الإسلامية.

كما سترى بعد قليل أسباب تلك وقلة المعرفة بها عبر العصور التي تلتها، كما سترى بعد قليل.

لقد حاولت أن أكون دقيقًا قدر الإمكان في وصف الأحداث، مستعينًا بالمصادر الذي أشير إليها. وسأكون ممتنًا لو تحمّلتكم معي إذا كانت هناك أي أخطاء في الكتاب.

أَمْضَيْتِ أَسابِيعَ وَشُهُورًا فِي كِتَابَتِهِ، مَعَ سَاعَاتٍ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَالتَّرْجُمَةِ. إِنَّهُ عَمَلٌ شَاقٌّ وَطُمُوحٌ لِلْغَايَةِ مِنْ جَانِبِي. أَعْتَذِرُ بِصَدَقٍ مُقَدَّمًا إِذَا كَانَ هُنَاكَ أَيُّ تَفْسِيرٍ خَاطِئٍ لِلْأَحْدَاثِ مِنْ جَانِبِي عَلَى الرَّغْمِ كُلِّ جَهُودِي.

وَالْحَقُّ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَلْيَغْفِرْ لِي إِنْ كُنْتُ قَدْ أَخْطَأْتُ فِي نَسْخِ الرِّوَايَاتِ الْمَكْتُوبَةِ لِهَذَا الْحَدَثِ. أود أيضاً أن أشير إلى أن هذا الكتاب يتم توزيعه مجاناً !

سأكون ممتناً لو أمكنك إبلاغي إذا قام شخص ما ذو نوايا خبيثة بعرض هذا الكتاب للبيع على منصات مثل أمازون أو كيندل أو غيرها.... يرجى إبلاغي في أقرب وقت ممكن. فبعض الناس لا يتورعون عن سرقة أعمال الآخرين وبيعها من أجل الربح. إذا لاحظت سرقة عملي، يرجى إبلاغي على عنوان البريد الإلكتروني التالي :

precious@laposte.net

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَقْبَلَ أَعْمَالِي وَيَهْدِينِي دَوْماً إِلَى طَرِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ وَحَسَنِ السُّلُوكِ. يَتَوَقَّأَنِي بِرِضَاهُ وَتَوْفِيقِهِ. وَأُشْهِدُ اللَّهَ أَنِّي أُعْطِيكُمْ ثَمَرَةَ عَمَلِي مَجَّانًا وَأَنِّي لَا أَغْفِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَنْ أَخَذَهُ لِيبِيعَهُ وَيَرْبَحَ فِيهِ رِبْحًا مَالِيًّا.

وأسأل الله تعالى أن يوفقني في تحقيق هذا العمل بأن يرزقني الاستبصار ويهديني طريق الحق. وأستغفر الله إذا أخطأت في كلمة أو قصة. أسأل الله تعالى أن ييسر لي مهمتي، فقد ألزمت نفسي برحلة طموحة. وأسأله تعالى أن يسجل في ميزاني كلما بذلته من وقت في بحث هذا الكتاب وكتابته وتصحيحه وتنسيقه. وأستودع الله تعالى هذه الوديعة في رقبتى حتى يعاد توزيعها على الوجه النافع المفيد.

وأنا إلى ذلك أعتمد على دعمكم في مشاركتي لكم في نشر كتاب "من فضلكم" قدر المستطاع. وأتمنى من أعماق قلبي أن تكونوا راضين عني، وأن أكون قد نجحت في هدفي في نقل تاريخكم ومعرفة تراثكم من خلال انتمائكم للإسلام بسبب أصولكم.

أود أيضًا أن أعتذر مقدمًا عن أي أخطاء إملائية. أنا لست متحدثًا باللغة العربية كلغتي الأم. لغتي هي الفرنسية. لقد حاولت أن أبذل قصارى جهدي بمحاولة الترجمة بأكبر قدر ممكن من الدقة. لكنني متأكد من وجود أخطاء في الصياغة أو أخطاء أخرى. أرجو أن تتحملوني. يمكنكم دائمًا الاتصال بي عبر البريد الإلكتروني لتصحيحها إذا كنتم ترغبون في تقديم مساهمة.

الفصل ١

مصدر النصوص التاريخية

هناك العديد من المؤلفات العربية القديمة لمؤرخين جادين يمكننا الرجوع إليها، والتي يمكن أن تكون أيضاً أساساً تحليلياً وتاريخياً لفهم وتفسير الأحداث التي أحاطت بالفتح الإسلامي لإفريقيا. لن أقتبس منها جميعاً، لأنها كثيرة حقاً. ولكن، بعد تحليلي الاستنتاجي الخاص بي، أعتقد أنه سيكون من الحكمة أن نتناول الوقائع وفقاً لتاريخها.

وفي رأيي أن المؤرخ إذا كان المؤرخ قد ولد قريباً من زمن الأحداث، فإن روايات وذاكرة المبلغين كانت لا تزال سليمة (ولا أقول طازجة)! ونتيجة لذلك، فهي أقرب إلى الحقيقة (والله أعلم).

ثم أن الشخصية الإسلامية السنية معياراً في اختياري الاعتماد على مؤرخيها وجغرافيينها الذين يبدو لي أنهم جادون. وقد أمدونا بعدد كثير من الكتب العربية القديمة التي يمكن الاعتماد عليها على نطاق واسع، التي تحتوي على ثروة من المعلومات الهامة والقيمة.

البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر بن داود).

وُلد بقليل قبل عام 800 (تاريخ غير مؤكد) في بغداد بالعراق، وتوفي عام 892 (عام 279 هجرياً) في مسقط رأسه أيضاً. يوصف بأنه من أصل فارسي، حيث إنه يترجم النصوص من الفارسية إلى العربية. لكنه ادعى أنه عربي من قبيلة في اليمن. سنقول ببساطة أن الله وحده يعلم ذلك. لا يهم من أين هو، فالعبرة عمله.

يوصف بأنه من أصل فارسي حيث قام بترجمة النصوص من الفارسية إلى العربية. لكنه ادعى انتمائه العربي إلى قبيلة في اليمن. ونقول لا يعلمه إلا الله. لا يهام من أين أتى، المهم هو عمله.

يُعرف بأنه أحد أبرز مؤرخي الشرق الأوسط وأحد كبار علماء الأنساب. صنف مؤلفات عظيمة مثل كتاب فتوح البلدان. الذي يتتبع التوسع العسكري للإسلام من هجرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في المدينة المنورة، إلى الشرق الأوسط وبلاد فارس وشمال أفريقيا (والسند باكستان). المرجع: [كتاب فتوحات البلدان pdf](#)

ابن عبد الحكم

أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ بْنِ أَعْيَنَ الْقُرَشِيِّ الْمِصْرِيِّ. وُلد حوالي عام 800 ميلادية في ظل الخلافة العباسي .

كان مؤرخاً مصرياً مالكياً . وقد ألف كتاب "فتح مصر وشمال أفريقيا وإسبانيا". ويعتبر أقدم تأريخ باللغة العربية لهذا الحدث. إنه حقاً أثمن وأوثق مصدر يمكننا الوثوق به. فهو يروي الأحداث بالرجوع إلى سلسلة من الأسانيد التي أعيد بناؤها على طريقة الأحاديث النبوية.

في الواقع، كان أول من استخدم مصطلح "البربر" للإشارة إلى شعب يمكن إرجاع نسبه إلى القبط أو الجليات. كما تجدر الإشارة إلى كتابه "حياة الخليفة عمر بن عبد العزيز".

المرجع: فتح إفريقية والأندلس لابن عبد الحكم

يمكننا أن نضيف أيضاً، أنه كان أوائل من كتب عن فتح أفريقيا.

ابن الأثير (أبو الحسن علي بن عز الدين)

وُلد عام 1160 في جزيرة ابن عمر جنوب شرق تركيا، وتوفي عام 1233 في الموصل في العراق. كان من قبيلة بني شيبان العربية التي تنتمي إلى بني بكر، الذين عاشوا في أعالي بلاد ما بين النهرين (المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات التي أصبحت الآن العراق وسوريا).

تولى والده مسؤولية تعليمه. فعلمه القرآن الكريم والقراءة والكتابة. ثم واصل دراسته في الموصل، حيث تخصص في علم الحديث والتاريخ. كان مرجعاً بارزاً في أنساب القبائل العربية وسيرة الصحابة، وكان من كبار المؤرخين في أنساب القبائل العربية وسيرة الصحابة. ويعتبر من أعظم مؤرخي الإسلام بعد الطبري.

ومن أهم مؤلفاته كتاب "أسد الغابة في معرفة الصحابة"، وقد ذكر فيه أكثر من سبعة آلاف صحابي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. كما رافق صلاح الدين الأيوبي في رحلاته الاستكشافية الشهيرة. وقد مكّنه ذلك من اكتساب ثروة من المعرفة التي استطاع أن يدونها في كتابه الكامل في التاريخ الذي يروي الفترة الأولى من الحروب الصليبية حتى استعادة مملكة القدس.

المرجع: [كتاب الكامل في التاريخ pdf](#)

تقي الدين المقريزي

الاسم الكامل: أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي. كان مؤرخاً مصرياً ولد في القاهرة عام 765/764 هـ وعاش في العصر المملوكي.

كان متبعاً لطريقة السلف الصالح رضي الله عنهم. ويُعتبر أحد أهم المؤلفين في التاريخ المصري. درّس في القاهرة على المذهب الشافعي. كان أحد المهتمين بالتاريخ من جميع جوانبه. لقد بحث في أصول البشر والأديان وعرف أيضاً مذاهب أهل الكتاب. وكان حسن الخلق، كريماً في التزامه، متواضعاً جداً ومتحمساً في بحثه.

وكان محباً للقرآن. وقال عنه ابن حجر: كان كثير العلم والفضل. توفي حوالي سنة ٨٤٥ بالقاهرة عن عمر يناهز الثمانين.

وكان رجلاً محترماً من الجميع، حتى أن رجال الدولة في عصره عرضوا عليه مناصب عليا فرفضها مفضلاً أن يكرس بقية حياته لطلب العلم ونقل معارفه. فابتعد عن كل مظاهر الحياة وزخارفها ليتفرغ فقط لحبه للتاريخ.

فصار لا يعبأ بما يلقي عليه من عناء في سبيل ذلك. حتى اشتهر بكثرة ما ألفه من المؤلفات. وقد بلغ مجموع أعماله أكثر من ٢٠٠ مجلد كبير. ولكنه كان يقول عن نفسه في تواضعه إنه لم يكن قد اكتفى من العلم بما فيه الكفاية. وكان محباً متحمساً للسلف الصالح، مشيداً بمذهبهم وعقائدهم ومدافعاً عنها.

وقد ألف في الواقع كتاباً مختصراً مفيداً في التوحيد. الشيء الذي كان ينتشر في ذلك الوقت المعتقدات المعاكسة. ومن مصنفاته التي تهمنا

في هذا الكتاب، مصنف سماه: "عقد جواهر الأسفاط". فيه وصف تاريخ مصر خلال المدة الممتدة من الفتح العربي إلى قيام الخلافة الفاطمية.

كتب : ملخص كتاب التوحيد الخالص تاريخ مصر في عهد الفتح العربي

يمكنني أيضًا أن أذكر آخرين، حيث حاول العديد من المؤرخين إعادة إنتاج أعمال تستعيد غزو شمال أفريقيا. ومع ذلك، فقد اخترت الاعتماد على هؤلاء المؤرخين الثلاثة الكبار من مؤرخي أهل السنة والجماعة لتجنب أي غموض في المصدر الذي أعتمد عليه.

وفي سياق بحثي، صادفت في سياق بحثي عدداً من الانتقادات التي وجهها مؤرخون معاصرون. أبرزها: اللجنة العلمية الدولية لصياغة تاريخ عام لإفريقيا. ويتساءلون عن غياب التفكير النقدي من جانب المؤلفين العرب وعدم احتواء أعمالهم على تفسير منطقي للتاريخ البربري. ولأن مؤرخيها كانوا من أصل عربي مسلم، فقد تبنا تلقائياً وجهة نظر الفاتحين دون أخذ المقاومة البربرية في الاعتبار.

في رأيي، هذا مجرد خطاب من وجهة نظر غربية! بإظهار العرب في الكتب وكأنهم برابرة متعطشون للدماء. إن هذا النقد يهدف إلى تحطيم

جدارة أو التقليل من أثر الفتح الإسلامي في أفريقيا. أما فيما يتعلق بالتاريخ، فهناك الكثير مما يمكن أن يقال عن الطريقة التي تُنقل بها الأحداث، ولكننا نحن مجتمع الوَسْط العادل، وننقل القصص والروايات والوقائع على حسب ما يتوفر لدينا من طرق النقل.

وقد جعل الله عز وجل سلسلة الإرسال سمة خاصة بمجتمعنا. إن الإسناد سمة عالية في سلسلة الضامين أو ناقلي المعلومات. إنها سمة تميزنا ونفتخر بها ونفخر ونفرح بهذه القيمة التي ننفرد بها.

قال الله عز وجل

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [سورة الحجرات، الآية ٦].

وهذا يدل على مدى أهمية نقل الكلمة أو القصة وعدم اتخاذ كلام الفاسق أصلاً!

قال محمد بن حاتم المظفر رحمه الله تعالى: "وَلَقَدْ شَرَّفَ اللَّهُ تَعَالَىٰ هَذِهِ الطَّائِفَةَ وَمَيَّزَهَا وَفَضَّلَهَا بِالإِسْنَادِ، وَلَيْسَ لِطَائِفَةٍ قَدِيمَةٍ وَلَا حَاضِرَةٍ إِسْنَادٌ فِيمَا تَنْقُلُهُ". [شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، رقم 71]

ميزة شريفة ينفرد بها المجتمع الإسلامي.

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله:

" **حَالُ مَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي الدِّينِ بِغَيْرِ سَنَدٍ كَمَثَلِ مَحَاوِلَةِ الْوَصُولِ إِلَى السَّطْحِ بَدُونِ سَلَامٍ** ". [الضعفاء للعقيلي، مجلد 1/ص 12].

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: " **وَطَلَبُ أَصَحِّ السَّنَدِ هُوَ سُنَّةٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا بَيْنَ السَّلَفِ، لِأَنَّ أَصْحَابَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانُوا يَسَافِرُونَ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَتَعَلَّمُوا وَيَسْمَعُوا مَبَاشَرَةً مِنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ". [مَعْرِفَةُ عُلُومِ الْحَدِيثِ، رَقْم 5].

وقال سفيان الثوري رحمه الله: " **الْإِسْنَادُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سِلَاحٌ فَبِمِ يُجَاهِدُ** " - [شرف أصحاب الحديث رَقْم 76].

إذن، في ختام الموضوع، في المصادر التي استندت إليها في بحثي لتأليف كتابي. ستفهم الآن موقعي واختياري للاستعانة ببعض الباحثين والمؤرخين المسلمين من أهل السنة كمرجع فقط.

إلى تلك إضافة ، ستجد أن معظم الكتب التي تتناول هذا الموضوع كتبها مؤلفون غربيون معاصرون يشكون في علماء المسلمين ومؤرخيهم.

«اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي فِي بَحْثِي بَصِيرَةً فِي بَحْثِي، وَأَنْ يَرْزُقَنِي رُشْدًا فِي بَحْثِي، وَأَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ. لِيَشْهَدَ هَذَا الْعَمَلُ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ عَلَيَّ».

الفصل ٢

عقبة بن نافع

وَأَسْمُهُ: عُقْبَةُ بْنُ نَافِعِ بْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ بْنِ لَقِيطِ بْنِ لَقِيطِ بْنِ عَامِرِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ الضَّرْبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ فَهْرِ الْقُرَشِيِّ.

وهو أحد أفراد عشيرة فهريون، وهي قبيلة من قريش. ولد في عام 622 في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم). لكن عقبة بن نافع لم يصحب النبي - صلى الله عليه وسلم - في حياته، لأنه ولد في وقت هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة المنورة في وقت الهجرة.

ومع ذلك، فقد كان أبواه أول من قبل رسالة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) واعتنقا الإسلام. وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَشْرَافِ مَكَّةَ، وَهُوَ أَيْضًا مِنْ أَبْطَالِ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ لَا يُحْصَى عَدْدُهُمْ. وقد سماه أبوه عقبة، وهو اسم كان يحمله عظماء الفرسان وأبطال قريش. سبحان الله.

يتمتع بنو فهر بتاريخ عريق كمحاربين. فقد شاركوا بشرف في الفتوحات. وكان لذلك تأثير على تعليمه، وكذلك على تطور شخصيته الباسلة. تأثر عقبة بن نافع (رضي الله عنه) في طفولته ببيئته ذات الطبيعة العسكرية البحتة التي نشأ فيها.

ويقال إنه ابن عم عمرو بن العاص (رضي الله عنه). أحد صحابة النبي (صلى الله عليه وسلم)، الذي عُرف عنه أنه رجل ذو صفات استثنائية من حيث الفصاحة والذهن الثاقب والتدبير، لفتح فلسطين وبيت المقدس وكذلك العراق ومصر.

وذكر ابن الأثير في كتابه أنه أخو عمرو بن العاص (رضي الله عنه) لأمه، وذكر ابن الأثير في كتابه أنه أخو عمرو بن العاص لأمه. وقال ابن عبد البر: إنه ابن عمه، وقال ابن حجر في كتابه "الإصابة في تمييز الصحابة": إن عمر خاله.

نقول: إن الحق مع الله تعالى، ولكن على كل حال ثبتت النسبة إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه. وَاخْتَلَفُوا فِي اسْمِ أُمِّهِ. فقد اتفقت المصادر على نسبته إلى عمرو بن العاص (رضي الله عنه) واختلفت في اسم أمه. لأن الواقع كما يقول ابن الأثير في كتابه أن أمه سلمى بنت حرملة فيكون أخا عمرو بن العاص لأمه (رضي الله عنه)، بينما يقول محمد بن سعد البغدادي: إن أمه من قبيلة لخم.

وَأَنَا أَتَّفَقُ مَعَ ابْنِ الْأَثِيرِ فِي أَنَّهُ أَخُوهُ لِأُمِّهِ. لأن ابن الأثير ليس وحده، فهناك مصادر تاريخية أخرى ومصادر أخرى من المصادر التاريخية والكتاب والمؤلفين المسلمين يعرفون عقبة بن نافع (رضي الله عنه) بأنه ابن سلمة، ولكنه وعمرو ليسا من أب واحد. وهذا هو سبب الخطأ

الذي نجده في كتب السيرة الذاتية باللغة الفرنسية. كثيرًا ما نجد أنهم يسميه ابن عمه لأنه مخطئ بشأن الأم. ولكن إذا قمت ببحثك الخاص ستري أن لديهم فعلاً نفس الأم، ولكن ليس نفس الأب على الإطلاق.

فكون عمرو بن العاص (رضي الله عنه) أخاه لأمه هذا يجعل له استعداداً في طباعه وشخصيته وما سيأتي من أحداث بعد ذلك. ما أجمله وأشرفه من نسب، سبحان الله! رجلان عظيمان ومهمان، قاما بالكثير لنشر كلمة الله. وفي سيرتهما الكثير من المآثر التي يمكن سردها.

عقبة بن نافع (رضي الله عنه)، شارك في الفتوحات الإسلامية، وكان فاتحاً حقيقياً في قلبه، مجاهداً في سبيل الله وتبليغ رسالة الإسلام. وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولاه أميراً على الجيوش، وكان ذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. بسبب شجاعته وقوته.

وهو الدور الذي جعله قائداً ومحارباً باسلاً، خاصةً في أثناء غزو شمال أفريقيا. لقد حقق إنجازات عسكرية مذهلة في مدة زمنية قصيرة جداً. ما لا يمكن لأي عقل أن يتخيله من وجهة نظر عسكرية. إلى تلك إضافة، فقد ترك أثراً عظيماً في نفوس الشعوب البربرية في المنطقة.

وبسبب تقواه وإخلاصه المطلق لقضية الإسلام، وانقطاعه التام عن متاع الدنيا وملذاتها، وجراته في المعارك وبطولته كمحارب. فهم شخصية عقبة بن نافع (رضي الله عنه) الرجل العظيم المليء بالعزيمة والشجاعة في هذه الملحمة التاريخية.

إن عزمه العنيد، ومناوراته العسكرية الباسلة، وغيرته التي لا تفتر على نشر الإسلام، وركوبه عبر الأطلسي، وشخصيته الجريئة أيضاً، وأخيراً تضحيته الطوعية والملمية، جعلت منه تجسيدا لفارس العقيدة، دون خوف أو وجل في سبيل الإسلام في إفريقيا. طفولة محاطة بالأبطال، وشعاره: "الجهاد والغزوة"، أي « قاتل واغز ».

وكان هذه الشعار يسري في عروقه ويملاً قلبه حب الجهاد في سبيل لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا. وكان أخوه عمرو بن العاص (رضي الله عنه) يقدره حق قدره، ويقدره حق قدره، ويحيطه بخبرته، وكان دائماً ما يبقيه قريباً منه. كان يعلم أن أخاه سيصبح يوماً ما بطلاً حقيقياً من أبطال الإسلام. لقد رأى فيه إمكاناته وشجاعته.

الفصل ٣

قيمته وشخصيته

عقبة بن نافع رضي الله عنه معروفاً بفضائله. وكان شديد التدين والشجاعة والحزم، ناهيك عن استجابته الدائمة لدعوة الجهاد. ولم يصل إلى هذه المكانة الرفيعة كقائد في القتال والقيادة إلا بسبب صفاته.

كان يتقي الله في كلِّ ما يفعل، ويكثر ذكره، ويستعين به باستمرار، ويتوكل عليه في جميع شؤونه. وجاء النصر له من عند الله. ولكنه أيضاً كان على قناعة راسخة بأن كل نجاح في حياة المسلم هو انتصار في عقيدة الله سبحانه وتعالى .

لقد كان قائداً جيداً جداً. كان يعامل جنوده باحترام. لقد أحبهم وأحبوه أيضاً. كان يثق بهم وهو مطمئن على أمرهم. وكان يكافئ أفضلهم بالفضل. لقد تغاضى عن أخطائهم الصغيرة، ولوم المستهترين والأشرار بكلام لطيف، دون أن يأخذ في الاعتبار أخطائهم أو هفواتهم.

عقبة بن نافع رضي الله عنه عسكرياً بعقله السليم وخبرته في أمور الحرب والمكائد والتدابير اللازمة. كان يعرف كيفية اغتنام الفرص وفرض الحيل. وكان ملاحاً يقظاً، قادراً على معالجة الأزمات واتخاذ

القرارات السريعة كلما دعت الحاجة. كما اهتم بسلامة جنوده وتحمل المسؤولية عنها. كان يعرف الاستراتيجيات العسكرية ويعرف مبادئها: المفاجأة، تأمين خطوط المواصلات، إرسال الاستطلاع، الحفاظ على الروح المعنوية وغيرها من الاستراتيجيات العسكرية، وكان مطلعاً على نفسية جنوده. يجلب الأمان إلى قلوبهم، ويفهم نفسية أعدائه، ويجلب لهم الرعب في الحروب.

لقد كان الرجل المناسب لإنجاز الموقف وكان مناسباً ليكون قادراً على قيادة هذه المهمة في غزو مناطق جديدة. وكان يتمتع بالمهارات والصفات اللازمة لخدمة هذه القضية.

وكما سنرى في الفصل التالي، لقد كان محارباً مخضرمًا وموهوبًا ومتمرسًا في القتال. لقد كان جنديًا ولد بروح بطولية، سعى باستمرار إلى المعارك وحقق النصر بالحب والحماس. كان هدفها الوحيد هو نشر وإعلاء كلمة الله وبالتالي إعادة تأسيس الإيمان الحقيقي بوحدانية الله.

في كثير من النواحي كان يشبه بقوة خالد بن الوليد في شجاعته وطموحاته. وكان جريئاً بطبيعته، يعتبر أن الحياة التي يقضيها في الجهاد هي الحياة المثالية للمسلم. لقد كان بحق المثال الأمثل للفارس في حب الإسلام ونشره.

الفصل ٤

وصاياه وفتوحاته

مسيرة غير مسبوقة سُجلت في تاريخ الإسلام للبطل عقبة بن نافع (رضي الله عنه) في فتوحاته. الاسم عقبة بن نافع (رضي الله عنه) ظهر مبكرًا جدًا على مسرح أحداث حركة الفتح الإسلامي، التي بدأت تتطور بقوة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). حيث شارك هو وأبوه نافع في فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص (رضي الله عنهم).

عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه ستكون له أهمية ودور كبير في حركة الفتح الإسلامي على الجبهة الغربية ، فكلفه بمهمة صعبة وهي قيادة دورية استطلاع لدراسة إمكانية من غزو شمال أفريقيا. وعين عقبة بن نافع (رضي الله عنه) واليا عليه رغم وجود العديد من القادة الأكفاء والصحابة الكبار.

كما أرسل عمرو بن العاص البطل عقبة بن نافع إلى مصر لفتح بلاد النوبة حيث لاقى مقاومة شرسة من النوبيين، ولكنه مهد الطريق لمن جاء بعده لفتح البلاد. وقد عُهد إليه بمهمة بالغة الخطورة وهي تأمين حدود مصر الغربية والجنوبية ضد الهجوم. وقاد عقبة كتيبة على أعلى مستوى من القتال من قبل الرومان وحلفائهم من البربر للتعامل مع أي هجوم مباغت ضد المسلمين.

وسيطر على مصر عدة ولاة بعد عمرو بن العاص، منهم عبد الله بن أبي السرح، ومحمد بن أبي بكر، ومعاوية بن اهدجي، وجميعهم أيدوا عقبة بن نافع في منصبه قائد لحامية برقة. على تلك علاوة، كان ينوي غزو أفريقيا حتى العالم كله. ما أوقفه في رحلته لم يكن قلة الإيمان أو الإرادة من جانبه. ولكن لأنه وصل إلى حد الحدود الذي كان المحيط. لكننا سنتحدث عن هذا بمزيد من التفصيل بعد قليل.

عقبة بن نافع (رضي الله عنه) في منصبه الشجاع قائداً لحامية الإسلام في عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) . ونأى بنفسه عن أحداث الفتنة التي تحدث

بين المسلمين (التي سترها بعد قليل في الكتاب) وجعل همه الرئيسي الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام بين البربر ودفع عدوان الروم.

ويمكننا أن نلاحظ ونلاحظ هنا حكمته البالغة في مواجهة الاضطرابات والصراعات التي ظهرت في المجتمع المسلم في ذلك الوقت. إنه حريص على التحي وعدم الانحياز. موقف نبيل جميل بينما تنتظر الأمور بهدوء. مع المحافظة على هدفها الأساسي، وهو خدمة سبيل الله وانتصار الإسلام.

ولما استقرت الأمور، وتولى معاوية رضي الله عنه خليفة المسلمين، ولى معاوية بن هادي مصر، وكان أول قرار اتخذه هو إرسال عقبة بن نافع (رضي الله عنه). في شمال أفريقيا لإطلاق حملة جديدة ومواصلة الفتح الإسلامي. عقبة بن نافع (رضي الله عنه) كانت أول غزوته ملازما سنة ٦٦٦هـ / ٦٦٧م بقيادة عبد الله بن سعد (رضي الله عنه).



وبعد أن حقق هدفه في حركة الفتح الإسلامي في شمال أفريقيا، حيث أخضع القبائل البربرية، ورد عدوان الروم، وصل إلى أقصى بلاد المغرب العربي.

كان لديه جيش مكون من ١٠٠٠٠ فارس عربي بالإضافة إلى عدة آلاف من اللاغواتانيين (قبيلة أمازيغية طرابلسية قبلت رسالة الإسلام) يقاتلون إلى جانب الجيش العربي.

وسنرى في الفصل التالي اكتشاف الأمازيغ الذين يعيشون في هذه المنطقة من شمال أفريقيا. وسنتناول بعد ذلك أيضًا المراحل المختلفة لنجاح هذه المرحلة من الفتح الإسلامي.

الفصل ٥

الشعب البربر

اكتشف العرب في بداية غزوهم لإفريقيا شعباً أمازيغياً عاش هناك ويعيشون بطريقة مماثلة للعرب في قبائل (القبائل).

وكان العرب يلقبونهم بالماجوس (عبادة النار)، وهو ما يمكن ترجمته أيضاً بمعنى الوثنيين. لم يكن هناك سوى جزء صغير جداً (شعب هامشي) يتكون من خليط من البربر والقرطاجيين الرومانيين الذين مارسوا المسيحية. وكانوا يطلق عليهم اسم "الأفارقة *".

كانت هناك عدة مجموعات من الأمازيغ منتشرة في مناطق شمال أفريقيا. ونظراً لتبسيط القراءة لن أذكرها كلها. لقد كان لديهم ببساطة أسماء مختلفة، لكنهم عاشوا بطرق مماثلة وكان لديهم ثقافة مماثلة. عاشت بعض القبائل على قمم الجبال، بينما عاشت قبائل أخرى في المناطق القريبة من الواحات. لكن جزءاً كبيراً من القبائل البربرية

هيمنت على الجزء الشرقي من الجزائر الحالية، وصولاً إلى قاع النهر في السنغال.

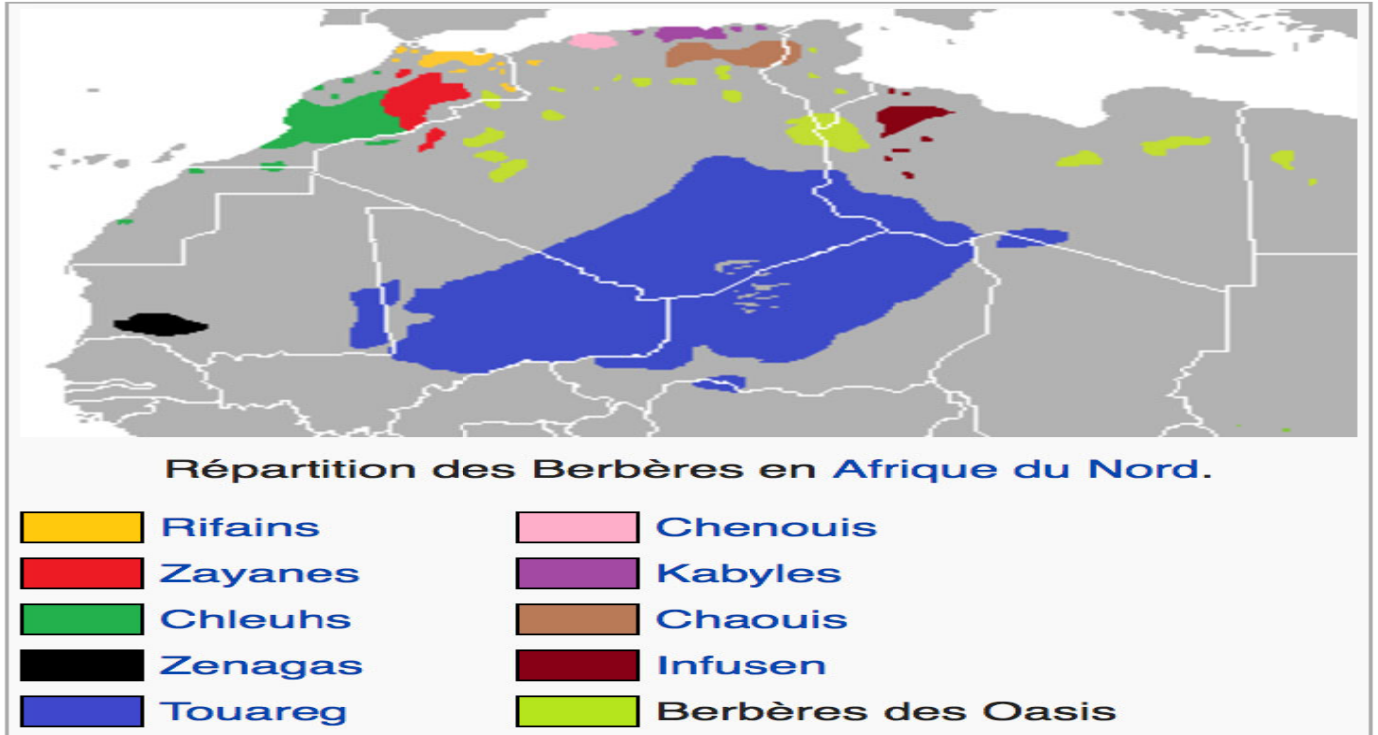
أما أمازيغ هذا العصر فلهم ديانة ليبية أو معتقدات أمازيغية. وهذه هي الديانات الأولى التي مارسها الأمازيغ قبل وصول الإسلام. وهي عبادة مكونة من خليط من المعتقدات المصرية واليونانية والرومانية والفينيقية وغيرها.

في زمن الفتح العربي، كانت إحدى أهم القبائل البربرية تسمى البرانيس (والتي كانت هي نفسها مقسمة إلى عدة مجموعات). كانوا يسكنون بشكل رئيسي أراضي المراعي على المنحدرات الجنوبية للجبال. لقد كانت دولة تضم أكبر مجموعة من "الكابيل".

ويمكننا أن نذكر أيضاً مجموعة أخرى عاشت في الأراضي الصحراوية بالجنوب والتي لا تزال تسمى اليوم الطوارق *. حراس الصحراء الكبرى المشهورون حتى اليوم.

لذا في الختام، هذا وصف موجز للغاية لقبيلة البربر. سوف يستغرق الأمر كتاباً كاملاً للحديث عنه. وهذا ليس الموضوع الرئيس الذي يتناوله هذا الكتاب. لقد كانت وسيلة بالنسبة لي لأعطيكم صورة شاملة للقبائل التي كانت تعيش في هذا المكان في ذلك الوقت.

واعلم أن بعضهم قاوم العرب وكانوا محاربين شرسين. وانضم قسم آخر إلى المسلمين، حتى أنهم اعتنقوا الإسلام في فترة الفتح الإسلامي. ويبقى أيضًا الجزء الثالث من الأمازيغ الذين سيوافقون على الخضوع بدفع الجزية مقابل حماية المسلمين.



توزيع الأمازيغ في شمال إفريقيا

شناوة

ريفينز

زيانيس

شلوح

صنهاجة

الطوارق

الشاوية

نفوسة

واحة البربر

الفصل ٦

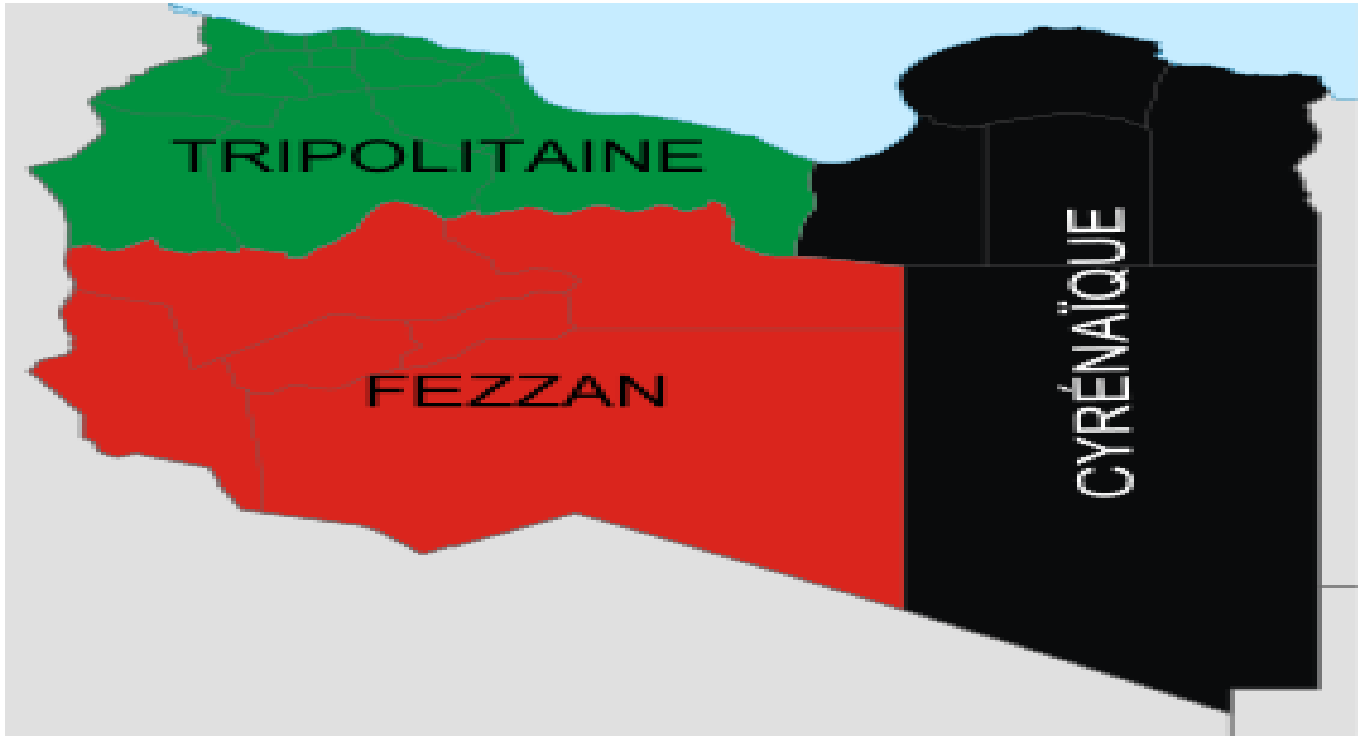
غزو أفريقيا

ومن المهم الإشارة إلى أن فتح أفريقيا لم يتم في مرحلة واحدة، بل على عدة فتوحات متتالية. ويجب إلينا أيضًا أن نأخذ في الاعتبار أسباب عدم القيام ببعثات استكشافية إلى هذه المنطقة قبل هذه الفترة.

والسبب الرئيس هو أنه في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، اعتمدت حكومته واستراتيجيته العسكرية فقط على استراتيجية منطقية ومتينة. لسبب بسيط هو أن توسيع نطاق الفتح وتوسيع نطاق جيوشه إلى هذا الحد كان بالنسبة له سببًا في إضعاف قاعدة مقر الخلافة. مع العلم أن أفريقيا كانت بعيدة جدًا عن المدينة المنورة، الأمر الذي من شأنه أن يزيد من مخاطر وصعوبات فتوحات منطقة بعيدة جدًا.

بعد انتصار عمرو بن العاص (رضي الله عنه) بمصر سنة ٦٤١.

قرر مواصلة توسع الإمبراطورية الإسلامية في برقة، والتي تسمى باللغة العربية برقة * . وتمثل هذه المنطقة اليوم ليبيا. وسينجح في ضم طرابلس وبرقة إلى مصر. ولم يواجه أي مقاومة تقريبًا في أثناء غزوه عام ٦٤٢. واستسلمت القبائل البربرية التابعة لللوطة وكذلك مجموعات الهوارة في النهاية ووافقت على دفع مبلغ سنوي قدره ١٣٠٠٠ دينار. وهذا ما يسمى الجزية. *



وقاد هذا الفتح السريع قائدان أرسلهما عمرو بن العاص رضي الله عنه على مرحلتين . إحدى الغزوات التي قادها بسر بن أبي أرتات (رضي الله

عنه) والتي أرسلها إلى ناحية صبراته (منطقة طرابلس التي باللون الأخضر في الصورة).

والقائد الأعلى الآخر هو عبد الله بن الزبير رضي الله عنه في منطقة ودان (منطقة فزان باللون الأحمر في الصورة).

وسنلاحظ مرة أخرى صفات عمرو بن العاص (رضي الله عنه) الرائعة والرائعة من حيث الاستراتيجيات العسكرية، وكذلك انتصاراته. يبدو قويًا جدًا في أهدافه وغاياته، ولكنه أيضًا لا يمكن إيقافه في طموحاته وتكتيكاته الحربية. إلا أن طموحه في الفتح سيتوقف هنا في غزواته بأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

سيتم تعيينه حاكمًا (واليًا) لمصر. وقام خلال ولايته بترميم قناة النيل (البحر الأحمر) لنقل القمح من مصر إلى الجزيرة العربية. وقد أطلق على هذه القناة اسم "قناة أمير المؤمنين" تكريمًا للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الفصل ٧

الفتنة الكبرى

وفي الفتنة الكبرى التي وقعت عام ٦٥٧، وقف عمرو بن العاص رضي الله عنه مع معاوية رضي الله عنه . وهو إلى ذلك سيشارك في معركة صفين ضد علي رضي الله عنه . ثم يتم تعيينه للتحكيم في الصلح. سيؤدي ذلك إلى كراهية الخوارج * الذين سينظمون هجوماً عليه عام ٦٦١، وكذلك معاوية وعلي (رضي الله عنهما). وتوفي علي (رضي الله عنه) متأثراً بجراحه. أصيب معاوية رضي الله عنه ونجا ، ونجا عمرو بن العاص رضي الله عنه تماماً من هذا الهجوم. ولشعوره بسوء حالته الصحية، فوَّض اتجاهه إلى خارجة بن حذافة (رضي الله عنه) فاغتيل مكانه.

وفي نهاية المصالحة. سيتم تعيين معاوية (رضي الله عنه) خليفة للمسلمين. لأن الحسن الابن الأكبر لعلي سيتخلى عن الخلافة وكل الذرائع. قرر الاعتزال مع عائلته إلى المدينة المنورة عام ٦٦٢ (رضي الله عنهم).

وفي ختام هذا الحدث المؤسف، يمكننا أن نتعلم درساً من هذا الحرب القاتلة، أنه بفضل الله، تم تقليل الخسائر، خاصة بفضل هدنة رمضان، وإستراتيجية عمرو بن العاص (رضي الله عنه) أن يأمر جيشه أن يجعلوا في آخر رماحهم صحائف من القرآن.

و هذا ما منع جنود جيش علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) من قتالهم برفضهم قتال الكتاب القرآن الكريم. وسنرى مرة أخرى ذكاء عمرو بن العاص (رضي الله عنه).

ويمكننا أن نتذكر أيضاً ظهور حركة الخوارج الأولى والتي ستؤدي إلى غضب دموي ووحشية آخرها تجاه المسلمين. الهدف الوحيد هو إضعاف الخلفاء على طريق السنة. على تلك علاوة، في أثناء غزو أفريقيا، احتشدوا مع السكان الأمازيغ الذين لم يدعموا الهيمنة العربية. ويجدون في الأخير إطاراً أيديولوجياً لثورتهم ودعمهم في الاضطهاد الذي سيحدث لاحقاً في الخلافة الأموية والعباسية والفاطمية.

بصعوبة بالغة أكتب هذا المقطع الذي أثر فيني كثيراً. أي إن أفضل الرجال وأصحاب النبي تقاتلوا. حرب تكون في بعض الأحيان قاتلة بين الأشقاء من جانب أو آخر. لأن الصحابة رضي الله عنهم في هذا الصراع انقسموا إلى ثلاث فرق؛ فمن وقف إلى جانب معاوية، وآخرون

إلى جانب علي بن أبي طالب، وفريق آخر اختار الحياد في هذا الصراع. واعتبر الأخير أن معاوية أخطأ في رفض الاعتراف بخلافة علي بن أبي طالب وأن علي بن أبي طالب أخطأ في السير ضد معاوية (رضي الله عنهم). وفي هذه الفئة الأخيرة التي اختارت الحياد يمكن أن نذكر من الصحابة على وجه الخصوص: سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد (رضي الله عنهم).

وعلى الرغم من الضرر الذي لحق، إلا أن غالبية المسلمين ظلوا على الطريق الصحيح ويتشبثون بأغلبية المجتمع. وأن الطرفين نجحا في استعادة السلام وفق كلام الله في القرآن.

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

[سورة الحجرات الآية ٩]

وهذا درس الوجبات الجاهزة كبيرة للنظر فيها. حتى في أوقات الفتن، من المهم الاعتماد دائماً على الله واتباع طريق الوسط التي يُفضل فيها

أهون الشرور لمصلحة المجتمع كُلاًّ. وهذا ما يتيح لها تعزيز استقرارها في مواجهة الاضطرابات والخلافات والحفاظ على وحدتها سليمة.

والأمر متروك لنا أيضاً أن نتبع هذا الطريق وألا ندع الشيطان يفرقنا. من المهم أن نتعلم كيفية التصرف بحكمة من خلال وضع المشاعر أو الكراهية أو الغيرة أو الكبرياء جانباً. تعرف على كيفية الرجوع خطوة إلى الوراء واسأل نفسك باستمرار قبل التصرف؛ إذا كانت أعمالنا متوافقة مع كلام الله وما علمنا إياه النبي مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم .

لنعود إلى تاريخنا في غزو أفريقيا. بمجرد انتهاء هذه الفتنة (والتي وفقاً للمؤرخين ستستمر حوالي ١٢ عاماً)، يتم العثور على السلام أخيراً في الإمبراطورية الإسلامية. واستؤنفت مسيرة الفتوحات بحماس في خلافة معاوية رضي الله عنه .

الفصل ٨

ثان من القادة

وقد ترسخت مكانته الآن كزعيم للمسلمين. مستعدًا لتوسيع أراضي الإسلام وتوسيع حدوده. وأضافت القوة المتنامية للقوة البحرية الإسلامية بعدًا آخر لإمكانات القوة العسكرية الإسلامية وتعزيزها.

ومن المهم أيضًا الإشارة إلى أنه خلال هذه الفترة استغل البيزنطيون غياب العرب على الأرض لمحاولة استعادة سلطتهم في هذه المنطقة في عهد الإمبراطور قسطنطين الثاني. وهو ما كان في صالح القوات المسلحة الإسلامية. لأن الرومان والبربر لم تكن لديهم رغبة أو رغبة في إعادة التوحيد مع إمبراطورية القسطنطينية. لقد عاشوا معًا بمفردهم ولم يشكّلوا تهديدًا للمحاربين المسلمين. لكن الأمر لم يكن بالأمر السهل على الجيش الإسلامي أيضًا. لأنه كان من الضروري أولاً التعامل مع الجيش البيزنطي قبل حتى إخضاع الأمازيغ حتى يتمكنوا من اعتناق الإسلام وحشد القضية الإسلامية.

قاد عبد الله بن سعد (رضي الله عنه) الغزو الأول لإقليم إفريقيا عام ٦٤٧ بجيش قوامه عشرون ألفاً جندي عربي انطلقوا من المدينة المنورة وانضم إليهم عشرون ألفاً آخرين لاحقاً. حاربوا ضد الجيش البيزنطي تحت سلطة غريغوريوس الباتريسي. لقد كان انتصاراً لجيش المسلمين حيث خرج منتصراً من معركة سوفيتولا (سبيطلة في تونس). قُتل حاكم قرطاج غريغوريوس في المعركة. وأخذ عبد الله بن سعد رضي الله عنه أسرى كثيرين، ثم أطلق من أسرهم بعد فدية كبيرة.

ثم واصل مسيرته نحو دمقولة (دنقلا السودان الحالية) بجيش قوامه خمسة آلاف رجل في عام ٦٥١. وكان معه سلاح فرسان ثقيل ومنجنيق. يجب أن تعلم أنه كانت هناك معركتان. أول من نتج عن معاهدة السلام عام ٦٤٥ والتي قاطعتها مملكة المقرة. مما أدى إلى معركة ثانية تحت قيادة عبد الله بن سعد (رضي الله عنه) فكان الهدف هذه المرة إخضاع الملك المقروري.

ونحن الآن في نهاية المرحلة التمهيدية الأولى في فتح أفريقيا على يد عمرو بن العاص (رضي الله عنه) وكتلك الحملة العسكرية بقيادة عبد الله بن سعد (رضي الله عنه). ومن الآن فصاعداً، تعرف الفاتحون

المسلمون على أرض أفريقيا وسكانها. تسمح لهم هذه المرحلة التحضيرية بالحصول على خبرة قوية ومفيدة في هذا المجال.

عقبة بن نافع (رضي الله عنه) حملته العسكرية الأولى باحتلال فزان عام ٦٦٣ (منطقة جنوب غرب ليبيا مرئية في الصورة السابقة). ثم يتولى ولاية إفريقية سنة ٦٦٦هـ / ٦٦٧ م (وهو ما سنراه ونفصله بعد قليل).

لقد كان الفاتح المنتصر الوحيد الذي اخترق القارة من الشرق إلى الغرب. حتى أنه رحل بحرية ضد الرومانيين عام ٦٦٩ في أول توغل على سواحل صقلية. بدا وكأنه يتمتع بشخصية قهرية قوية وشجاعة لا تتضب. وكان حبه لنشر الإسلام مصدر دافعه الوحيد.

وبعد انتصاره في منطقة فزان (جنوب ليبيا)، غادر لمواصلة غزواته في المغرب العربي، وعلم خلال توقفه الشتوي أن سكان ودان (شمال شرق منطقة فزان) رفضوا الميثاق الموقع سابقاً مع المسلمين.

ولذلك قرر أن يترك قيادة قواته لعمر بن علي القرشي وأيضاً للزبير بن قيس البلوي (رضي الله عنهم). فقرر عقبة بن نافع (رضي الله عنه) أن يرجع في قوة قوامها أربعمئة فارس وأربعمئة بعير وثمانمئة قرية من الماء.

وهكذا استعاد السيطرة على المدينة وقطع أذن ملك المنطقة. ولما سألته عن سبب تصرفه معه، أجاب عقبة بن نافع رضي الله عنه بهذه الكلمات: « **سيكون هذا بمنزلة درس لك، في كل مرة تريد أن تلمس أذنك، سوف تتذكر ذلك ولن تحاول شن حرب على العرب !** »

تنتهي رحلته ويستأنف رحلته إلى بقية أفريقيا. دائماً بهدف نشر كلمة الله. وذلك بالتأكد بعد كل انتصار من أن القبائل ستبقى مخلصه للإسلام ولن تتقلب على الخلافة الإسلامية.

وسينجح في تحقيق أهدافه نجاحاً كاملاً، لأنه توغل في البلاد وحارب أهلها (البربر والناصريين) في بقية أراضي أفريقيا بجيش قوامه ١٠ آلاف جندي مسلم.

ستستمر هذه الحملة العسكرية المنتصرة حوالي خمس أشهر. وسوف يحرص على أن تكون رسالة الإسلام وسلطانه أينما حلّ على أن تكون رسالة الإسلام وسلطانه مؤيدة.

على تلك علاوة، اعتنق عدد كبير من البربر الإسلام. لم يبق له في المغرب العربي سوى مناطق معينة كان بحاجة إلى تنظيم حملة كبيرة فيها. ولهذا كان بحاجة إلى قاعدة، مركز إسلامي في أفريقيا.

فجمع جنوده وخاطبهم بهذه الكلمات: «**شعب هذا البلد ليس له شخصية. فإذا وضع عليهم السيف يخضعون. وعندما يغادر المسلمون يعودون إلى ديانتهم. وعندما يعود زعيم مسلم إلى أفريقيا يقبلون دعوته إلى الإسلام؛ ولكن عندما يعود، يعود الذين أقبلوا في دين الله إلى الكفر والكفر وأرى أن مهمتكم أيها المسلمون أن تبثوا مدينة في أفريقيا تعطي شأن الإسلام إلى آخر الزمان**».

وقد قبل الجميع موقفه واقتراحه عن قناعة أنه من الضروري بناء مدينة ووضع حامية عسكرية هناك للدفاع عن حدودها. وخاطبوا عقبة بن نافع رضي الله عنه بعباراته: «**دعونا نقرب من البحر، حتى نتمكن من حراسة الحدود في أثناء القتال في الجهاد المقدس**».

لكن هذا لم يكن ما كان يدور في ذهنه تمامًا. لأنه كان يعرف من عينه الخبرة العسكرية المخاطر الكامنة في بناء مدينة على البحر، فضلاً عن ضعفها أمام الأسطول الروماني الذي كان لا يزال يتمتع بقوة قوية في البحر الأبيض المتوسط.

ثم بعد تلك عقبة بن نافع رضي الله عنه، أخذ الوقت الكافي لشرح ذلك لرجالته بكلماته الخاصة:

« أَخْشَى أَنْ يُفَاجَأَ إِمْبَرَاطُورُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ أَنَّهُ يُهَاجِمُ عَلَى غَرَّةٍ. لِنُتْرِكَ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْبَحْرِ مَسَاحَةً أَكْبَرُ مِمَّا يَسْتَطِيعُ قَائِدُ الْبَحْرِيَّةِ أَنْ يَغْطِيَهُ دُونَ أَنْ تَكُونَ حَرَكَتُهُ مَعْرُوفَةً. فَإِنْ كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَحْرِ مَسَافَةٌ لَا تُقْصَرُ فِيهَا الصَّلَاةُ فَنَحْنُ حُرَّاسُ حُدُودِنَا ».

رجال جيشه المكون من ١٨ صحابياً والعديد من أبناء الصحابة (رضي الله عنهم) من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) قبلوا اقتراح عقبة بن نافع (رضي الله عنه) وذهبوا جميعاً إلى مكان المملوء بالنبات والأشجار والنباتات.

وذات مرة بعد وصوله إلى مدينة القيروان (تونس)، غرس عقبة بن نافع رضي الله عنه رمحه في الأرض، وخاطب جيشه قائلاً: « **هذه قيروانكم** » * (مخيم عسكري).

وهنا في هذه المدينة قرر جيش عقبة بن نافع رضي الله عنه أن يجعل قاعدة الحضارة الإسلامية الجديدة التي ستعيش من الآن فصاعداً في أفريقيا وعاصمتها القيروان.



وهنا الآن أول مدينة عربية في شمال أفريقيا. المدينة التي سيولد فيها أول أكبر مركز إسلامي في شمال أفريقيا المسلمة. ويقول صاحب الكتاب: بل إن هناك معجزة دلت له فيها السماء بفضل الله وقوته على اتجاه القبلة حتى يصلي صلواتهم.

وسوف تكتشف بمزيد من التفصيل في الفصل التالي القصة الرائعة والرائعة التي سيخلص فيها عقبة بن نافع رضي الله عنه هذه الغابة من هذه الحيوانات البرية، ومعجزة الله الذي ستستجيب لدعوة عقبة بن نافع (رضي الله عنه) .

الفصل ٩

﴿ مقر القيروان ﴾

ويقرر عقبة بن نافع (رضي الله عنه) أن يجعل من القيروان مركز تجمع المسلمين مقراً لنشر الإسلام. التي سيجعلها عاصمة له، التي سيسميها هو نفسه القيروان (كما رأينا سابقاً الذي تعني المعسكر).

وستكون بالنسبة لهم حصناً منيعاً وقاعدة آمنة في شمال أفريقيا. وقد اختار عقبة بن نافع رضي الله عنه مكان بناء المدينة بعد استشارة رجاله. فاختار مكاناً مناسباً لذلك، وكان هذا المكان فيه الكثير من الأشجار والحيوانات والوحوش. وهناك قرر إقامة معسكر في السهل. فدعا الله أن يزيل الوحوش والأسود من ذلك المكان، فاستجاب الله دعاءه، ثم أمر رجاله بقطع الأشجار.

يروى ابن الأثير: « ووصل إلى مكان القيروان، وكان يومها مجرد مكان تمتلئ أدغاله بالحيوانات البرية والثعابين وغيرها. فلما استجاب الله لدعائه، بدأ بالدعاء، ثم نطق بهذه الكلمات: »

« الثعابين والوحوش البرية! نحن أصحاب رسول الله ! ابتعدوا
لأننا سنستقر هنا، وسنقتل كل من نجده في هذه الأماكن من
الآن فصاعدًا».

ثم رأينا الزواحف تبتعد وتأخذ صغارها وأدى هذا المشهد إلى اعتناق
العديد من القبائل البربر.

أطلق هذا النداء ثلاث مرات، ولمدة ثلاث أيام ظل عقبة بن نافع
(رضي الله عنه) وجنوده يراقبون هذا المشهد من شروق الشمس إلى
غروبها بدهشة. سبحان الله!

الأسود والذئاب، ولكن أيضًا الثعابين والعقارب، جميعها تحمل
صغارها. يُسمح للجميع بالمغادرة بفضل الله سبحانه وتعالى دون قلق
أو خوف على مصيرهم.

للرؤية البسيطة لخروج الحيوانات هذا بعد دعاء عقبة بن نافع (رضي
الله عنه) تأثير مثير للإعجاب على السكان المحليين الذين عاشوا في
هذه المنطقة. وهكذا، كما ذكرنا سابقًا، كان هذا سببًا ساهم بشكل كبير
في اعتناق عدد كبير من البربر الإسلام. لا إله إلا الله!

ويذكر أنه حتى بعد ٤٠ سنة من استقرار المسلمين وتطهيرهم من هذه الغابة. ولم ير أحد مرة أخرى ثعباناً أو عقرباً أو أي وحش بري آخر في القيروان. الله أكبر. لقد قيل أنه لا يمكنك حتى الحصول على واحدة بـ ١٠٠٠ دينار!

بمجرد اكتمال حركة الحيوان. تم قطع الأشجار وتطهير الأرض من جميع النباتات غير المرغوب فيها وتم بناء مدينة القيروان. بدأ بنائه عام ٦٧٠ هجرية، لكن تم الانتهاء منه عام ٦٧٤ هجرية.

عقبة بن نافع رضي الله عنه ببناء مقر الحكومة وبناء المسجد الذي بجانبه. وهو أيضاً أقدم مسجد في المغرب العربي، كما أنه أحد المعالم الأثرية الأكثر تمثيلاً للفن والعمارة الإسلامية. وسيتم بناء المدينة ومبانيها على مدى ٤ سنوات.



وكان فيها مسجد ومسكن للناس، وأصبحت مقراً عسكرياً للمسلمين ومنطلقاً لبقية فتوح أفريقيا.

ارتفعت المدينة تدريجياً إلى الشهرة وأصبحت عاصمة المسلمين في أفريقيا. ولكنها أيضاً مركزاً للتعليم الديني، التي ستظل فيما بعد المدينة الإسلامية الرئيسة في إفريقيا مدة ٤٠٠ عام.

عقبة بن نافع (رضي الله عنه) كان حاكماً لإفريقية، وكان مقره القيروان. العاصمة السياسية للدولة الإسلامية. كان حكمه مشبعاً بالحكمة والكثير من اللطف تجاه ناخبيه. كان الناس سعداء، وكانت المنطقة آمنة.

ولسوء الحظ، انقطعت مسيرته قائد لجيوش المسلمين في إفريقيا بتعيين خليفة جديد له عام ٦٧٥ هـ.

وسيمارس أبو المهاجر دينار الأنصاري (رضي الله عنه) مهامه من سنة ٦٧٥ إلى سنة ٦٨١ هـ / ٦٨٢ م تحت قيادة جيوش المسلمين لمسلمة بن عبد الملك (رضي الله عنه) ابن الخليفة معاوية (رضي الله عنه).

الفصل ١٠

الحكومة الجديدة

مسلمة بن عبد الملك (رضي الله عنه)، والي مصر وإفريقيا الجديد، يقرر عزل عقبة بن نافع (رضي الله عنه) من منصبه ويحل محله أبو المهاجر دينار الأنصاري (رضي الله عنه) . على الرغم أن العديد من الصحابة كانوا قدن صحوه بعدم اتخاذ هذا القرار، بل إبقاء عقبة بن نافع (رضي الله عنه) حاكماً وقائداً لإفريقية.

لكنه، على الرغم العديد من النصائح، برر قراره بأنه يشعر بأنه مدين لأبي مهاجر . ونظراً لإخلاصه، ولأنه خدمه كعبد، استحق المكافأة.

إلا أن مسلمة بن عبد الملك (رضي الله عنه) كان واضحاً جداً في توجيه الوالي الجديد أبي المهاجر دينار الأنصاري (رضي الله عنه)، بأن يعامل عقبة بلطف وحسن نية. وهو ما لم يفعله للأسف، بل على العكس، كان قاسياً للغاية، يستهين به، بل ويدخله السجن. إلا أن عقبة بن نافع رحب بهذا التعيين الجديد بكل سرور بأذرع مفتوحة ودون أي

عداء. ولكن أمام هذه المعاملة السيئة والتصرفات التي تلقاها من أبو المهاجر. وقد تأثر عقبة بن نافع رضي الله عنه في نفسه، فدعي بذلك بقوله: **« اللهم لا تمتني قبل أن أكون مع أبي المهاجر دينار »**.

وبعد مدة قرر عقبة بن نافع (رضي الله عنه) أن يكتب رسالة إلى الخليفة، لإبلاغه بحاله وتصرفات أبي المهاجر دينار (رضي الله عنه) تجاهه. فلما علم معاوية رضي الله عنه بالأمر، أمر بإطلاق عقبة نافع ورده إليه. واستطاع أن يخرج من السجن ويسافر إلى الشام ليجد معاوية (رضي الله عنه) فيعبر له عن شكواه بقوله: **« فتحت البلاد، وبنيت البيوت، ومسجد المجمع، ثم أرسلت أبا الأنصار فظلمني »**.

وبعد هذه المقابلة مع عقبة بن نافع (رضي الله عنه)، اعتذر معاوية (رضي الله عنه) ووعد بإعادته إلى منصبه. وبعد مدة توفي معاوية رضي الله عنه بدمشق. وسيكون ابنه يزيد (رضي الله عنه) من بعده خليفة للمسلمين. عودة عقبة بن نافع رضي الله عنه إلى منصبه قائداً لجيوش المسلمين في أفريقيا. يقرر العودة إلى طريق الفتح الإسلامي والاستمرار من حيث توقف أبو المهاجر. بدأ بإعداد جيوشه ومعداته الحربية. وسلكوا الطريق للوصول إلى بلدة بغاي وهي جماعة تقع شمال غرب ولاية منشلة. ولم يجدوا مقاومة ضدهم، لأن الروم كانوا

يهربون في طريقهم. حتى الوصول إلى هذه المدينة. وقاتلوا بشراسة مع أهل هذه المدينة. وبعد هذا النصر توجه عقبة بن نافع (رضي الله عنه) وجيشه نحو تلمسان (مدينة في شمال غرب الجزائر).

ثم بعد ذلك خرج الروم بجيش كبير للقاء عقبة بن نافع رضي الله عنه لمواجهة جيش المسلمين. وكانت معركة عظيمة وانتصاراً آخر لعقبة بن نافع (رضي الله عنه) وللإسلام. وواصلوا الطريق حتى وصلوا إلى تهارت، وهي منطقة بالمغرب تقع بالقرب من محلة آيت أوفير والكريت في الوَسَط الشرقي، بين مراكش وأكادير. واستغاث الروم في الموقع بالبربر للانضمام إليهم في القتال لمساعدتهم في قتال جيش المسلمين. ولما علم عقبة بن نافع رضي الله عنه بهذا الاتحاد بين الروم والبربر، خاطب جنوده ليحفزهم بعباراته:

« أيها الكرام، خياركم من اصطفاه الله تعالى ورضاه. وعلى من أنزل كتابه ومن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبايعوا البيعة عن الرضا لقتال الذين لا يؤمنون بالله إلى يوم القيامة. إنهم أكرمكم وأولوكم في البيعة. بأن يبيع روحه لرب العالمين ابتغاء جنته بيعة رابعا. وأنتم اليوم في أرض أجنبية، ولكنكم بايعتم رب العالمين. إنه يراك في هذا المكان الذي أنت فيه، لا تترك هذا البلد إلا لتتال رضاه

وتعظم دينه. لذلك أعلن الأخبار الجيدة. وكلما كثر الأعداء كلما زاد الخزي والذل إن شاء الله. ولن يتخلى عنكم ربكم فثبتوا قلوبكم إن الله تعالى سيجزي المجرمين عقوبته.»

وكان لكلماته الأثر الكبير في نفوس الجنود، فتمكنوا من هزيمة عدوهم. ويجب أن ندرك أن قلب المؤمن الصادق المخلص في سبيل الله لا يشيخ أبدًا. واعلم أن عقبة بن نافع رضي الله عنه كان يومئذ قد جاوز الستين من عمره، ومع ذلك كان لا يزال على نفس القدر من الشجاعة وجرئ. فتوجه بجيشه نحو طنجة وخرج لمقابلته الملك يالان وخضع لحكمه ودفع الجزية.

ومعلوم أن عقبة بن نافع رضي الله عنه لن يعرف السكينة والطمأنينة بعد أن ينجح في فتح الأندلس. لكن يالان نصحه بدلا من ذلك بالذهاب إلى منطقة سوس (منطقة جنوب المغرب). لأنه كان هناك أناس يمارسون دين المجوس. عقبة بن نافع رضي الله عنه يتوجه بجيشه المسلم إلى هذا المكان. وبعد قتال عظيم بين الجيشين، نصره الله على المسلمين، وفتحت البلاد. وبعد مسيرة الفتوحات التي قام بها عقبة قرر العودة إلى القيروان. لجيشه سمح بالعودة من شمال جبال الأوراش، ولم يبق معه سوى ٣٠٠ مقاتل.

الفصل ١١

استشهاد عقبة بن نافع

وبنى عقبة بن نافع رضي الله عنه مدينة القيروان واستقر بها المسلمون. وبعد ذلك واصل مسيرته في فتح أقصى بلاد المغرب، وصد هجوم الروم، وحقق هدفه في الفتح الإسلامي.

تم بناء المدينة، والإسلام موجود في جميع الأراضي المفتوحة في أفريقيا. لذلك ترك هناك حامية قوامها ٦٠٠٠ رجل وأخذ معه جيشاً قوامه خَمْسَةَ عَشَرَ ألف فارس وأضيف إليه بضعة آلاف من الجنود البربر.

وبدلاً من اختيار السهولة التي يوفرها السهل الساحلي، قرر بدلاً من ذلك الاستيلاء على الأوراس (منطقة جبلية تقع في شمال شرق الجزائر) ومهاجمة المركز السابق للمذهب الشيعي تحت حكم البيزنطيين.

وعند اقتراب جيش عقبة بن نافع الصغير (رضي الله عنه)، استغل البيزنطيون ذلك فقرروا الاتحاد مع البربر وكذلك النصارى لمهاجمتهم. وهكذا فوجئ عقبة بن نافع رضي الله عنه بآلاف البربر من قبائل

مختلفة مع كتيبة من الروم. ولذلك يقرر الاندفاع نحوهم دون تردد بكل شجاعة وإصرار. ونجح بفضل الله في تفريقهم وهزيمتهم في معركة شرسة.

كما يمنحه هذا النصر صورة القائد الذي لا يقهر. ومن ناحية أخرى، خلال هذه المعركة، تأثر الأمازيغ كثيرًا بشخصيته وانتصاراته. قرر الآلاف من البربر اعتناق الإسلام وانضموا إلى جيشه بأعداد كبيرة. وواصل إمبراطوريته الفتحية حتى طنجة. وألحق هزيمة ساحقة في جميع أنحاء هذه المنطقة بالبربر الذين كان زعيمهم كسيلة الذين فروا وخططوا للانتقام. ساد الإسلام، وتحول الناس بشكل جماعي إلى الدين الإسلامي. ولذلك قرر بناء مسجد في منطقة أغمات أوريكا وآخر في نفيس.

ووصل إلى حافة المحيط الأطلسي عند آسفي (شمال موكادور حاليًا الصويرة) بحصانه. توقف ودعا ربه بهذه الكلمات:

«يا رب لولا هذا البحر لعبرت الأرض أجاهد في سبيلك».

وفي رواية أخرى: «يا رب لولا أن يمنعني البحر لخرجت إلى الأرض على طريق ذي القرنين» (يعني الإسكندر الأكبر في فرنسا والله أعلم) «أدافع عن دينك، وأقاتل هؤلاء الذين كفروا بك».

وأمر الجيش بالتفرق وبقي مكانه. وكان معه ثلاثمائة من جنوده، فتوجه بهم إلى مدينة يهوذا، حيث كان هناك مؤامرة على عقبة بن نافع وأصحابه، حيث تم الهجوم عليهم.

وفي هذا الوقت استغل كسيلة زعيم البربر قلة جنود عقبة وتواطأ مع الروم على خيانتهم، وجمع مجموعات كبيرة لمهاجمة عقبة نافع (رضي الله عنه) ومن معه.

ولما علم عقبة بن نافع رضي الله عنه بالمكيدة وما يُحْكَم به، قال لمساعدته أبا المهاجر رضي الله عنه: « **اذهب إلى القيروان وقد المسلمين، وأنا أستفيد من الشهادة** ». فأجاب أبو المهاجر (رضي الله عنه) على الفور: « **أنا أيضا أريد الاستشهاد!** »

عقبة بن نافع (رضي الله عنه) وجنوده المسلمون مع البربر حتى استشهد عقبة بن نافع (رضي الله عنه) ومن معه بمنطقة الزاب* سنة ٦٨٣. (*الزاب منطقة تقع في الشمال الشرقي للصحراء الجزائرية.)

ولن أذكر أين أو أين دفن. لأنه للأسف يوجد في مجتمعنا جهلة يشركون على قبره أو يطلبون شفاعته عند النبي. أو غيرها من الحماقات التي يمكن أن نراها على مقابر الصحابة الذين يعتبرون قديسين أو مباركين. هذا كله خيال محض، جهل، بدعة!

فاتحًا شجاعًا لم يواجه أي مقاومة تقريبًا على مدى أكثر من ١٥٠٠ كيلومتر من الشرق إلى الغرب بفضل الله.



رجل عظيم، محارب، لم يكن له سوى هدف واحد وغاية واحدة، وهي تبليغ رسالة الإسلام وكلمة الله. إنه لشرف لي اليوم أن أنقل إليكم حبة الرمل هذه في ضخامة هذا التاريخ، ولأهمية معرفة قيمة هذه الصحابي.

أتمنى أن أكون قد علمتكم الكثير وأن يكون مفيدًا أيضًا للأجيال القادمة إن شاء الله. ولا أستطيع أن أخفي مشاعري وإعجابي عنكم. أنا ممتن جدًا لأن الله جعل من السهل علي أن أكون مسلمًا مؤمنًا.

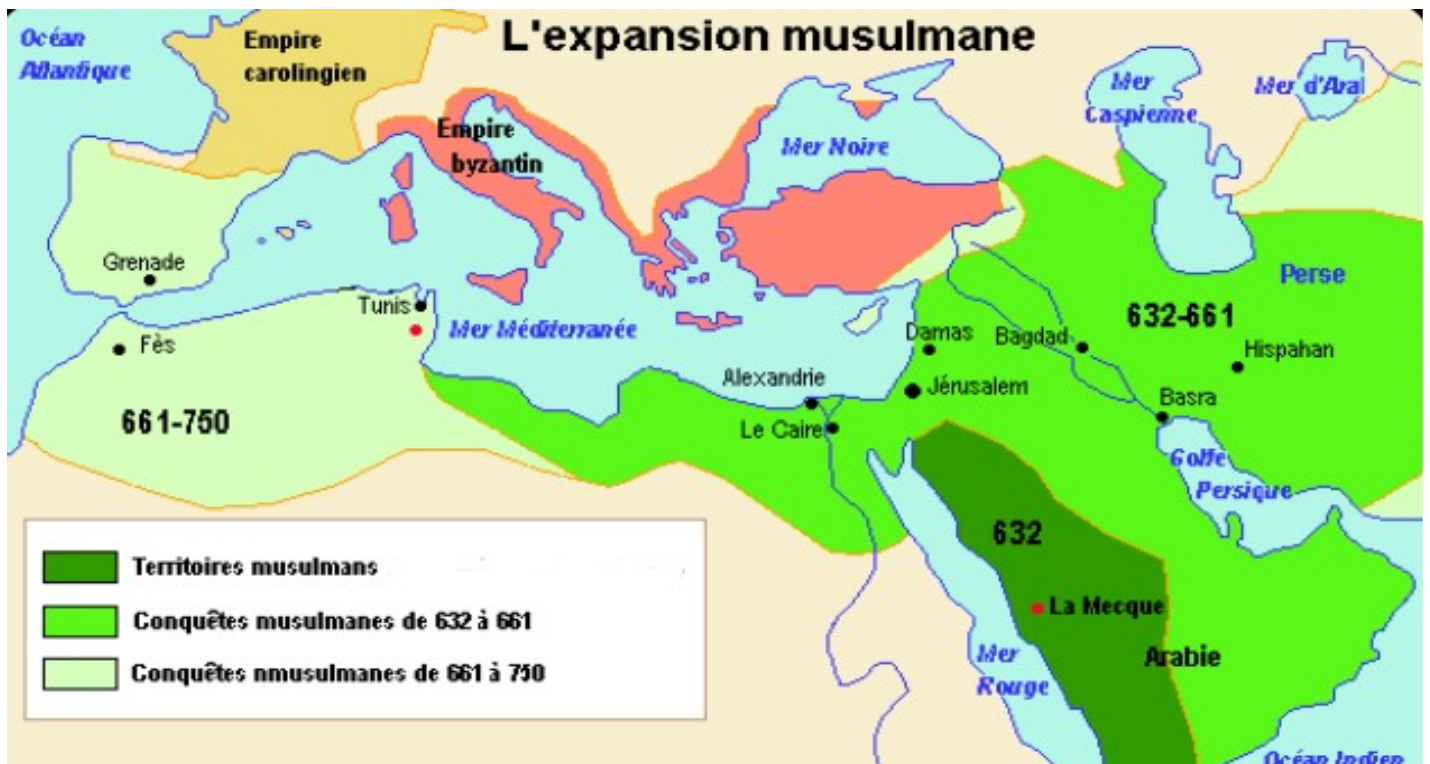
ولكن من المهم أيضًا أن نرى كيف أن دور عقبة بن نافع رضي الله عنه سبب عظيم أيضًا في عقيدتنا وديننا المهيمن في أفريقيا.

وهذا النوع من القصص، وغيره الكثير، هو الذي يستحق الدراسة ونقله إلى الأطفال في المناهج المدرسية في البلدان الإسلامية.

الفصل ١٢

وَيَصْبِحُ الْإِسْلَامُ هُوَ الدِّينُ السَّائِدُ

وهو من أسمى تعابير النجاح في الفتح وجمال الإسلام. لقد استطاعوا أن يرفعوا من خلال أخوة الإيمان من هزمتهم الأسلحة وأذلّتهم، وأن يجمعوا الناس من جميع اللغات وجميع المجموعات العرقية في أمة روحية تقوم فقط على الإيمان بوحداية الله، حولها من الأعلى. منظور انتصار الحقيقة. توحيد المؤمنين من خلال الإيمان، بهدف مشترك.



لقد كانت بلا شك أطول وأصعب الفتوحات الأولى في العصر الإسلامي. كانت ثماني حملات كبرى، امتدت على مدى أكثر من نصف قرن، ضرورية لفتح القارة أمام الإسلام والتغلب على المقاومة

الشرسة من الملك الليغوري ملك أفريقيا، وأباطرة القسطنطينية، وكتلك الكاهنة الشهيرة أو مرة أخرى من الزعيم البربري كوسيل. أبطال الشجاعة التي ما توصف سعدوا وسقطوا: عقبة بن نافع رضي الله عنه، بالطبع، ولكن دون أن ننسى أيضًا عبد الله بن الزبير، أو زهير بن قيس، أو الحسن بن النعمان.

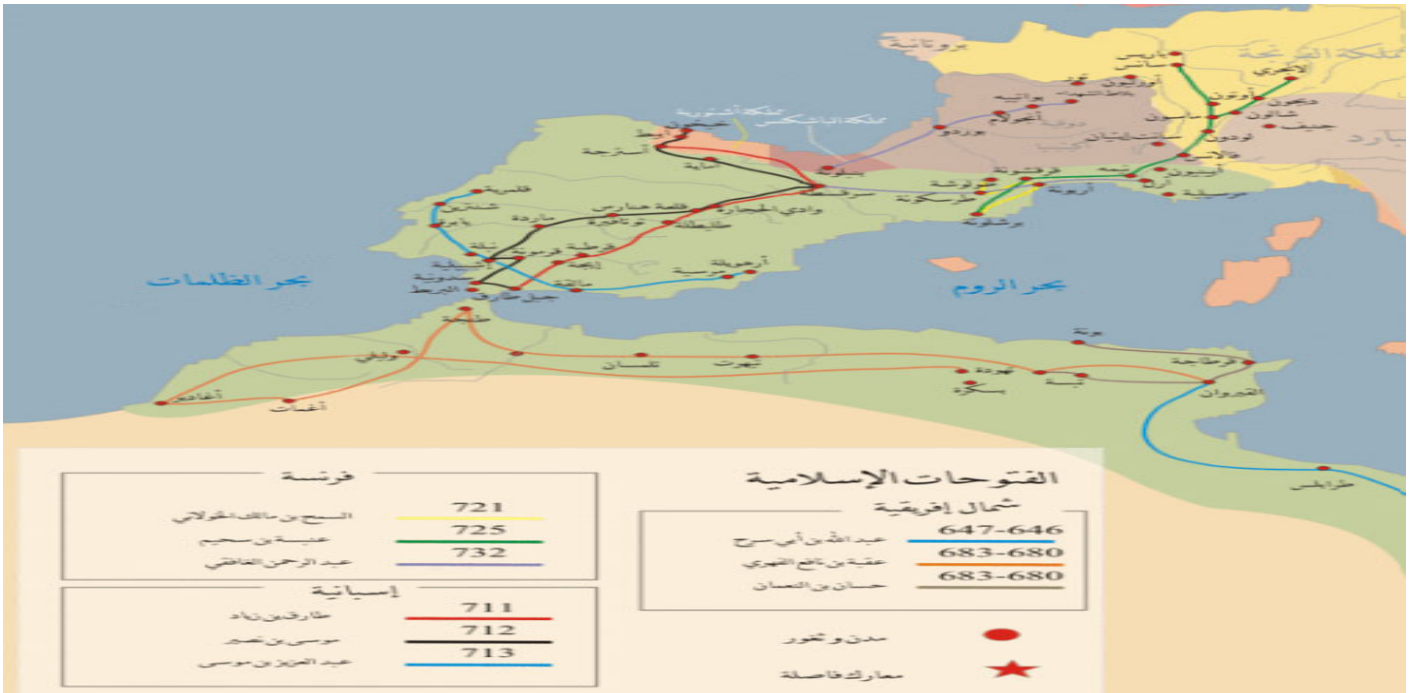
لقد كانوا بتقواهم، وإخلاصهم المطلق لقضية الإسلام، واعتزالهم متاع الدنيا، وجراتهم في الحملات، وبطولاتهم المحاربة، بلا شك خلفاء الصحابة وجيوش خالد بن الوليد. (رضي الله عنه).

ومن المفارقة أنها كانت أيضًا أعمق الفتوحات. وبما أنها لم تكتمل بعد، فقد انضمت وحدات كاملة من البربر إلى الفاتحين - والإخوة الجدد - الذين خرجوا من الشرق لنشر دين محمد صلى الله عليه وسلم في شبه الجزيرة الأيبيرية وخارجها.

وما من قوم حاربوا الإسلام بأشد شراسة، ولا صعد قوم إلى هذا المجد بعد هزيمتهم وتحولهم وامتصاصهم في الإسلام. وإذا استمرت الفتنة العرقية لفترة معينة من الزمن، فقد ظل البربر مع ذلك متمسكين بشدة بالإسلام على مر القرون. شعبان شقيقان متحدان على الدين وحب الله. لا يسعنا إلا أن نذهل من سرعة استيعاب شمال أفريقيا داخل الأمة، خاصة في ضوء حماسة مقاومتها السابقة - وهذه حالة نادرة للغاية في

التاريخ الإسلامي. من بين الشعوب غير العربية في الأمة الإسلامية، قليلون هم الذين دفعوا مثل هذا الجزية الثقيلة للدفاع عن الإسلام، وقليلون هم الذين ساهموا في مجده، مثل البربر.

من فاتح الأندلس الشهير. حتى أسود الريف. لقد حمل العديد من الأبطال من هذا الشعب بكل فخر راية دين الله. على مدار ثلاثة عشر قرنًا، سقطت موجات عديدة من المحاربين الشرسين من الصحراء أو الأطلس دفاعًا عن المسلمين، عبر مضيق جبل طارق. لمحاولة صد الاسترداد الحتمي أو الوقوف ضد الاستعمار خلال العديد من المعارك الأسطورية، حيث سقت دماءهم التربة على ضفتي البحر الأبيض المتوسط!



لقد شكلت العديد من السلالات الإسلامية البربرية المجيدة أيضًا تاريخ المغرب العربي ومدنه وثقافته: التي أكملت أسلمة المنطقة، ولكن أيضًا الموحيدين، والمرينيين في فاس، والحفصيين في تونس، والحماديين في

بجاية، زريدي القيروان وغيرهم كثير. وكما ترى فإن قصة الفتح الإسلامي مستمرة حتى بعد وفاة عقبة بن نافع رضي الله عنه.

ومع ذلك، المغامرة تنتهي هنا بالنسبة لي. هدفي هو جعل هذا الصحابي معروفاً لأكبر عدد ممكن من المسلمين، وهو أمر لا يزال للأسف غير معروف كثيراً. لقد كان من دواعي سروري الحقيقي أن أكتب.

لقد تمكنت من السفر عبر القصص وفهم أشياء معينة واحزن أشياء أخرى أيضاً. لكن النتيجة النهائية التي أستخلصها منها هي فخر كبير لأنني تمكنت من المساهمة من خلال بحثي. ولو كانت حبة رمل في محيط الحقيقة والمعرفة. ولكن بقدر ما كان الأمر بسيطاً، فقد تمكنت من تقديم مساهمتي.

وأرجو المَعذرة إذا لاحظتم أي خطأ أو خطأ. حاولت أن أكون مخلصاً قدر الإمكان لما يقترب من الواقع. لا تنسوني في دعواتكم، على أمل أن أكون قد سافرتم وتذوقتم هذه القصة. أنني تمكنت من نقل الفوائد التي تأملها إليك. وهكذا كنت حاضراً معي طوال الرحلة وحن الوقت لتقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أختك التي تحبك في الله .

سوريه بنت عمار.

معجم

الافريكة: الاسم العربي الذي يعرف أحفاد الرومان اليونانيين والبربر اللاتينيين، ومعظمهم من المسيحيين.

العقيدة: العقيدة أو العقيدة، وهو العلم الذي يهتم بالعقيدة الإسلامية. ويحتل هذا العلم مكانة مهمة في العقيدة لتوجيه الإنسان إلى العقيدة السليمة والصحيحة: الاعتراف بوحداية الله، وملكيته المطلقة، وعدله، وقدرته، وإرادته، وعلمه، وعدم تشبهه بمخلوقاته...

برقة: هي منطقة تقليدية في ليبيا يأتي اسمها من برقة القديمة، وهي مقاطعة رومانية.

فهريس/فهيرون: مصطلح الفهريد يشير إلى عائلة من العرب الأرسقراطيين من عشيرة قريش من بني فهر. والفهريديون هم أفراد وأحفاد عشيرة قريش من بني فهر. وأحفاد هذه العائلة موجودون اليوم في المغرب تحت اسم الفاسي الفهري أو الفاسي وفي تونس تحت اسم الفهري.

فتنة: فتنة تأتي من الفعل فتن (فتن وهو ما يعني تجربة، حرق) ولكن اعتمادا على سياق الجملة يمكن أن تعني أيضا اضطراب، مشكلة، فتنة، شقاق.

الهجرة: يشير هذا اللفظ على وجه الخصوص إلى هجرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه من مكة إلى المدينة. كان من الممكن أن تحدث هذه الحلقة في عام ٦٢٢.

الإسناد: أي المرجع. وهي سلسلة رواة الخبر أو حديث.

الجهاد: هذا المصطلح يعني "الجهد" أو "الكفاح" أو "المقاومة". وذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه "زاد المعاد" أنها تنقسم إلى أربع فئات. جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.

الحزية: هي ضريبة القصاص السنوية تعويضاً عن الحياة المحفوظة التي يجب على القبيلة المهزومة دفعها. وفي مقابل المسؤولية والحماية التي يتحملها المسلمون. ويتم إعادة توزيعها بصفة مساعدات مالية للفقراء.

القيروان: معناها المعسكر أو المعسكر أو القافلة أو مكان الراحة.

خوارج: بمعنى الخارجين على الخليفة أو الخارجين على الحاكم المسلم، كما حدث عام ٦٥٧ في الفتنة بين علي ومعاوية (رضي الله عنهما).

مادجوس: هي كلمة عربية تعني السحرة والوثنيين والشخص الذي يمارس علوم السحر والتنجيم.

مملوك: جمع مملوك ممالك والتي تعني "ممسوس" باللغة العربية. إنهم فرسان العبيد الذين تم تحريرهم من الميليشيا التي كانت بمثابة حراسة للخلفاء والتي جاء منها العديد من سلاطين مصر.

قابلية: كلمة تعني القبيلة أو العائلة باللغة العربية.

قُرَيْشٌ: تعني حرفياً "الشخص الذي يجمع". وهذه هي القبيلة التي ولد فيها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). وتأخذ اسمها من لقب سلف مشترك لأعضائها يدعى فهر بن مالك والملقب بقريش.

الطوارق: مجموعة من سائقي الجمال الرحل.